# جغرافيات التمييز العنصري الثقافية : إقليم العرق

أليستير بونيت وأنوب ناياك

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

إن الفئات التي نستخدمها لتقسيم العالم وشعوبه عادة ما يتم تمثيلها على أنها غير مثيرة للجدال ومنطقية . فكلمات مثل "آسيوي" و"أفريقي" و"أوروبي" و"غربي" تنطلق من اللسان وكأنها أفكار طبيعية . وقد تبدو التصنيفات الوطنية والإقليمية والدينية وغيرها من التصنيفات العرقية واضحة بالقدرنفسه ، إلى الحد الذي ترتبط فيه غالبًا بصفات ومطالبات محددة للغاية . والواقع أن الكثير من المحادثات السياسية والاجتماعية تتألف من تأكيدات مثل "ما يشعر به الروس حقًا ..." أو "لقد علمت التجربة الأفارقة أن ...". بطبيعة الحال ، **يعتمد التواصل على التصنيف** ، الذي يعتمد بدوره على التعميم . وعندما يتم إضفاء الطابع العنصري على هذه العملية تصبح إشكالية : أو بعبارة أخرى ، عندما يتم استخدام أنواع المصطلحات المذكورة أعلاه لدعم الغرور الخطير الذي يشير إلى كيانات طبيعية "ما قبل اجتماعية" ومتجانسة ذات صفات ثابتة .

ولعل من المدهش أن علماء جغرافية المجتمع وثقافته لم يوجهوا اهتمامهم إلى بناء الأساطير العرقية إلا في الآونة الأخيرة نسبياً . وهذا أمر مدهش لأن السمة المشتركة بين المصطلحات التي ذكرناها بالفعل هي أنها إقليمية : فالتحدث **بلغة العرق والعرقية** يعني في كثير من الأحيان التحدث عن **الجغرافيا** . والواقع أن الجغرافيا ، إلى جانب الأنثروبولوجيا ، هي أكثر المساعي العلمية عرقية ؛ وهي حقيقة واضحة تماماً من تاريخها المؤسسي (ليفينجستون، 1992؛ 1994). ونحن نأخذ هذا على أنه يعني أن نقد العنصرية يشكل أحد أكثر الشواغل إلحاحاً بالنسبة للجغرافيين المعاصرين . وعلى الأقل ، ينبغي أن يكون كذلك بالنسبة لأولئك الذين يرغبون في رؤية الموضوع يحقق أمل كروبوتكين (1996، نُشر لأول مرة في عام 1885) في أن يكون انخراط الجغرافيا الحتمي في مسائل العرق والعرقية قائماً على **القدرة على فهم وتحدي الصور النمطية والتحيز**، وليس على العنصرية . ولنلاحظ أن المصطلحات العنصرية الأكثر وضوحاً ، مثل "الأبيض" و"الأسود" و"الأشخاص الملونين"، لم تُذكَر أعلاه .

إن مثل هذه التعبيرات عنصرية بشكل واضح بمعنى أنها تشير مباشرة إلى الجسد ؛ وهي مصممة للإشارة إلى تلك الأشياء التي تبدو طبيعية ، لحمنا ودمنا . وعلى هذا النحو فإنها "تثبت" العرق وتجعله يبدو حقيقياً . وهنا تظهر مفارقة : إن الجغرافيا تستند إلى العرق ولكن المصطلحات الأكثر عرقية تبدو وكأنها تفتقر إلى الأهمية الإقليمية ، فتهرب من الجغرافيا . والواقع أننا نقترح أن قدرة مثل هذه المصطلحات على الظهور كونها أكثر الفئات العرقية عرقية (ومن ثم دفع المنافسين الآخرين إلى التضاريس الغامضة لـ "العرقية") مرتبطة بقدرتها على جعل المكان يبدو غير ذي صلة . ولا ينبغي لهذه المفارقة أن تغرينا بأخذ مثل هذه الفئات "بشروطها الخاصة" .

لا يفرض هذا الفصل علينا أن نواجه هذه المفاهيم كونها من أكثر الأمثلة تطرفاً على الطريقة التي يمكن بها إضفاء الطابع الجوهري على الهويات العرقية من خلال إزالتها من التاريخ والجغرافيا . ومن المؤسف أن المصطلحات العرقية الأكثر شيوعاً واستخداماً هي التي حظيت تقليدياً بأقل قدر من الاهتمام النقدي . وفي حين اجتذبت الهويات "الأكثر غرابة" الجغرافيين وعلماء الأنثروبولوجيا لسنوات عديدة ، فإن كون المرء أبيض و/أو أوروبياً و/أو غربياً يظل موضوعاً جديداً نسبياً للبحث والاستقصاء . ومع ذلك ، فإننا نزعم في هذا الفصل من خلال فهم مثل هذه المصطلحات فقط ـ تلك التي تم على أساسها تعريف كل

المصطلحات الأخرى بأنها غريبة ـ يمكن إبراز النظام الأوسع للتمييز العنصري والامتيازات . وكما يشير هذا التأكيد ، فإن هذا الفصل لن يتبع المسار التقليدي ، الذي تم تأسيسه منذ ستينيات القرن العشرين ، المتمثل في تحديد جغرافية العرق مع إننا نناقش الأنماط المكانية والرمزية الثقافية للإقامة غير البيضاء في الغرب . ولا نسعى إلى تجاهل أو التقليل من شأن مثل هذا العمل . بل إننا مهتمون بفهم مثل هذه المواد في علاقتها ببناء الهويات المعيارية ، التي غالبًا ما تكون "غير مميزة عرقيًا" . وبدون مثل هذا التوسع في التركيز ، يمكن بسهولة تمثيل "الجغرافيا العرقية والإثنية" كحقل فرعي هامشي ، ذلك الجزء من الجغرافيا الذي يتعامل مع "الآخرين" .

ونظرًا لأن الجغرافيا كتخصص هي إلى حد كبير بيضاء وغربية ، فإن مثل هذا التركيز يمكن أن ينزلق بسهولة إلى الأبوية ، والاهتمام الإيثاري بـ "المجتمعات المشكلة" و"الضحايا" الذين يعانون إلى الأبد . من خلال توضيح أن البيض هم أيضًا نتاج للعنصرية ، وأن هوياتهم لها أيضًا تاريخ وجغرافيا ، وبالتالي فهي قابلة للتغيير، يمكننا المساعدة في انهيار هذا النوع من المسافة الفكرية والسياسية : تحويل نقد العرق والعرقية من "حقل فرعي" إلى موضوع أساسي ومستمر يمتد عبر تعليم جغرافي صارم .

في الجزء الأول من هذا الفصل ، نقدم عددًا من الطرق التي يمكن من خلالها التركيز على جغرافية التمييزات الإقليمية والاجتماعية واستكشافها بشكل أكبر، مع إيلاء اهتماما خاصا لتاريخ مصطلحي "أوروبا" و"الغرب". في الجزء الثاني ، يتحول التركيز إلى الطبيعة العنصرية لأماكن ومظاهر طبيعية معينة . وكما سنرى ، فإن العمل التجريبي للجغرافيين حول الطريقة التي تم بها إعطاء شوارع وأحياء ومدن معينة معنى عرقيًا يسمح لنا برؤية العلاقة بين العرق والإقليم بطرق جديدة وعلى مستوى أكثر تفصيلاً . ويختتم هذا القسم بملاحظة مفادها أنه في حين ركزت هذه الدراسات تقليديًا بشكل شبه حصري على المساحات الهامشية والمهاجرة ، فإن العديد منها تتجه الآن نحو أماكن ومظاهر طبيعية أقل عرقية وأكثر معيارية .

لقد تم تطوير هذا الاهتمام في القسمين الثالث والرابع من هذا الفصل . يوفر القسم الأول بعض السياق النظري للعمل الجديد في مجال الهوية الثقافية الذي سعى إلى تجاوز المفاهيم الجوهرية لـ "العرق" والثنائيات السوداء/البيضاء . وينظر القسم الرابع في سبب وكيفية ظهور جغرافية وتاريخ البياض كمخاوف مركزية للعلماء المهتمين بالعلاقة بين المكان والعرق .

إن نقد الجغرافيا الإثنية يعود إلى تاريخ طويل . ومع ذلك ، فإن الغالبية العظمى من هذا العمل لم يكن مصمماً لإثارة إشكالية هذه التقسيمات ، بل كان مصمماً لتساؤل حول مزاعم مجموعات معينة بالقبول في المعسكرات الأكثر امتيازاً . على سبيل المثال ، في كتابه "انحدار الغرب" (1980، الذي نُشر في الأصل عام 1918) كان شبنجلر مصراً على أن "أوروبا" لم تعد تعبيراً مفيداً ، لأنها تشجع الرأي القائل بأن الروس موجودون داخل نفس المجال الإثني الجغرافي مثل الأوروبيين الغربيين . وقد اشتكى قائلاً : "بفضل هذه الكلمة "أوروبا" وحدها ومجموعة الأفكار الناتجة عنها ، أصبح وعينا التاريخي يربط روسيا بالغرب في وحدة لا أساس لها على الإطلاق" (1980: 233). إن هذا النوع من التمييز لا يفتح الباب أمام الأفكار العنصرية للفحص النقدي ، بل يعزز من أصالتها . ومع ذلك ، يمكننا أن نسعى إلى نهج أكثر حرصاً ، ولكن راديكاليا أيضاً .

قدم كتاب هاي الصغير "أوروبا : ظهور فكرة" (1957) أحد الأمثلة الأكثر شهرة باللغة الإنجليزية . لم يكن اهتمام هاي بحماية مفهوم أوروبا من التخريب ، بل كان بإظهار كيف أصبح مصطلحا مقبولا على نطاق واسع الآن كونه واضحاً وطبيعياً مهيمناً لأسباب سياسية واجتماعية . وبشكل أكثر تحديداً ، أوضح هاي كيف أن "أوروبا" لم يكن لها تأثير كبير على خيالات العصور القديمة والوسطى ، ولم تتطور إلا كتعريف

ذاتي لأولئك الذين يعيشون داخل أوروبا في العصر الحديث ، ودمجت تدريجياً فكرة المسيحية القديمة وغطت عليها .

وعلى الرغم من أن هاي لا يفصل العلاقة ، فمن الواضح من دراساته أن فكرة "أوروبا" نمت كجزء من مشروع عرقي أوسع ، وهو المشروع الذي يرتبط غالبًا بظهور العلوم العنصرية . لقد بدأ الأوروبيون في ربط انتماءاتهم الدينية القائمة (كمسيحيين) وهويتهم الاستعمارية الناشئة بكيان بيولوجي طبيعي ، ألا وهو "العرق الأوروبي الأبيض" . وقد سبق نص هاي ، بما يقرب من أربعين عامًا ، سلسلة الدراسات حول الموضوع نفسه والتي نُشرت على مدار العقد الماضي . وتشهد العناوين الحديثة ، مثل "اختراع أوروبا" (ديلانتي، 1995)، و"تاريخ فكرة أوروبا" (ويلسون ودوسين، 1995) و"صنع أوروبا" (بارليت، 1994)، على القبول الجديد لهذه الطريقة في النظر إلى الجغرافيا العرقية .

وعلى نطاق أوسع ، قدم لويس وويجن نقدًا عامًا لكتاب "أسطورة القارات" (1997). وكما لاحظا ، فإن جوهرية العنصرية تشكل عنصراً أساسياً في مثل هذه الانقسامات ، حيث توفر أوروبا – على الرغم من وضعها المادي كقارة – المعيار الذي يتم على أساسه تحديد مثل هذه المناطق الأخرى . ويشير لويس وويجن إلى أن "معظم الجغرافيين – وأغلبهم من سكان أوروبا – لا يعدون أوروبا سوى شبه جزيرة في آسيا (أو أوراسيا)". "ليس فقط كقارة كاملة النضج ، بل كقارة نموذجية "(1997 :36). لقد تم تأكيد حدود ومعنى أوروبا لأول مرة في سياقات استعمارية أو داخل تلك المجتمعات التي رأت نفسها على أنها هامشية بالنسبة للمركز العرقي للهوية الأوروبية البيضاء الناشئة . وتجسيدًا لكلا القوتين ، فإن تسمية الجغرافي الروسي في القرن الثامن عشر فاسيلي تاتيشيف ، في ثلاثينيات القرن الثامن عشر ، لجبال الأورال والقوقاز كونها ، على التوالي ، الطرف الشرقي والجنوبي لأوروبا ، أمر مثير للاهتمام ، ليس فقط بسبب بقائه حتى يومنا هذا ، ولكن لأنه يعكس ظهور رغبة شبه جنونية بين النخبة الروسية في ترسيخ أوروبا وآسيا ككيانات ذات معنى كبير ومنفصلة تمامًا .

لقد ترسخت بين أرستقراطية روسيا في القرن الثامن عشر فكرة مفادها أن هناك ثقافة منفصلة يمكن التعرف عليها من التقدم الاقتصادي والتكنولوجي والعقلانية في "الغرب" وأنه من خلال "التغريب" يمكن إظهار الصفات الأوروبية المتخلفة في روسيا نفسها ومحو أو تهميش أي أثر آسيوي . وعلى الرغم من أن هذه النظرة كانت شائعة أيضًا بين الثوار الماركسيين بحلول عام 1917، إلا أنها تأسست لأول مرة كجزء من محاولات النخبة الروسية لوضع أنفسهم ضمن صورة معيارية للثقافة الأوروبية والاستعمار . وكما يشير هذا ، فإن الغربيين في محاولتهم لتأسيس روسيا كأوروبية كانوا أيضًا يثبتون غالبية البلاد على أنها هامشية وغير متحضرة وآسيوية . إن بيكر يؤكد على الديناميكية الاستعمارية التي تتضمنها هذه الصيغة ، ويشير إلى أن ما أصبح يُنظَر إليه كونه قرب آسيا من روسيا لم يكن يُفهَم كونه تهديدًا للهوية الأوروبية لروسيا ، بل كونه فرصة لإثبات هذه الهوية . ومن خلال جلب ثمار الحضارة الغربية إلى رعاياها الشرقيين ، فإن روسيا بذلك تثبت عضويتها في النادي الحصري للدول الأوروبية .(1991 :50)

وكما تشير هذه التفسيرات ، فإن توحيد الخيال التاريخي والجغرافي يبدو سمة ضرورية للدراسة الجادة للمصطلحات الإثنو-جغرافية "المسلَّم بها" . وفي أواخر سبعينيات القرن العشرين ، برز كتاب الاستشراق (1979) لإدوارد سعيد بسرعة كونه النص الكلاسيكي لهذا النوع من المساعي . وقد أثبت التحليل التاريخي الذي قدمه سعيد للطريقة التي اخترع بها الشرق داخل الغرب أنه مصدر إلهام للجغرافيين الساعين إلى توجيه تخصصهم في اتجاه أكثر تأملاً (جريجوري، 2000). ولكن من ناحية أخرى ، قدم سعيد نقطة انطلاق تقليدية لاستكشاف الهوية ، حيث كان تركيزه منصباً على الطريقة التي تم بها استبعاد الآخر الغريب

والشيطاني من قبل السرد الغربي القوي . وعلى النقيض من ذلك ، فإن ظهور الأدبيات الحديثة حول الاستغراب (كارير، 1995؛ تشين، 1995؛ فين، 2000؛ ينظر أيضاً جوجويلت، 1995؛ لويس وويجن، 1997) يشير إلى الرغبة في وضع الغرب والتغريب وفحصهما ليس كونهما أمرين لا يمكن إيقافهما ، أو كونهما أمراً واقعاً اجتماعياً واقتصادياً "يقهر كل شيء" ، بل كونهما خلقاً عرضياً وجزئيا . في الواقع ، تم إدخال مصطلح "الاستغراب" إلى النقاش الحالي من قبل أولئك الذين عدوه خطابًا مضادًا للمقاومة ضد الغرب ، وهو إضفاء طابع موضوعي معاكس (ينظر حنفي، 1992؛ وأيضًا تونيسون، 1994).

لقد وفرت العلاقة بين الهيمنة الأوروبية وترسيم حدود العالم وشعوبه نقطة انطلاق لاستكشاف فئات أخرى مألوفة . ففي كتاب اختراع أفريقيا (موديمبي، 1988) واختراع أوروبا الشرقية (وولف، 1994) يتبين لنا كيف نشأت أفريقيا وأوروبا الشرقية لأول مرة كتسميات غرب أوروبية ، وكيف لعبتا دوراً حاسماً في تسمية مجموعات سكانية شاسعة ومتنوعة بصفات نمطية وعنصرية . ومع ذلك ، فإن هذه الأعمال تنبهنا أيضاً إلى الطريقة التي تم بها تبني هذه العملية وتكييفها من قبل مجموعات مختلفة في جميع أنحاء العالم . لقد توقفت أفريقيا منذ فترة طويلة عن كونها فكرة أوروبية ، وهي حقيقة تتجلى بوضوح خاص في صعود القومية الأفريقية والمركزية الأفريقية .

إن الطبيعة الثقافية المتعددة للاستخدام المعاصر للعلامات العرقية الجغرافية توفر تركيزاً تصحيحياً للميل إلى المبالغة في التأكيد على الوكالة الأوروبية . هناك دراستان كان لهما تأثير خاص في تفصيل التفاعل بين أنظمة التصنيف الأوروبية وغير الأوروبية ، وهما دراسة برات "العيون الإمبراطورية" (1992) (التي تتناول التطور "الثقافي" للصور والأفكار في الأمريكتين) ودراسة توماس "الأشياء المتشابكة" (1991) (دراسة عن الطريقة التي خضعت بها رمزية التحف اليومية من المحيط الهادئ للتفسير وإعادة التفسير ، ذهابًا وإيابًا ، بين القوى المستعمرة والاستعمارية). ومع ذلك ، كما يؤكد برات ، لا ينبغي استخدام تقدير التعددية الثقافية كوسيلة لتجاوز حقيقة الهيمنة الأوروبية . إن نتيجة ومعنى التهجين تعكس علاقات القوة في الاستعمار والاستعمار الجديد . وهذا يشير أيضًا إلى أنه ، بغض النظر عن مدى تعدد الثقافات التي تستخدمها هذه الأفكار في الوقت الحاضر، فإن أفكارًا مثل "أفريقي" و"آسيوي" و"أوروبي" وما إلى ذلك لا يمكن استخلاصها بسهولة من المنطق العنصري الذي مكّن في البداية من نشرها وقبولها في العصر الحديث .

## تمثيلات العرق والمكان

على مدى السنوات الأربعين الماضية ، كانت المناقشات الجغرافية حول العرق تميل إلى التركيز على مسائل مثل : الاستيطان والفصل السكني . وبشكل أكثر تحديدًا ، **هيمن تحليل الفصل المكاني بين مجموعات الأقليات والسكان الأغلبية على المناقشة** (ينظر، على سبيل المثال، جونز، 1978؛ لي، 1977؛ بيتش، 1975؛ بيتش وآخرون، 1981) . وفي أميركا الشمالية وأوروبا الغربية ، تقلص هذا التركيز بشكل أكبر بسبب الارتباط المتزايد بين المناطق الحضرية والسكان "متعددي الأعراق" والمهاجرين . وفي مثل هذه المجتمعات ، أصبحت جغرافية العرق مساوية لدراسة المدينة . ويشير كوهين (1993) إلى أن "إضفاء الطابع المكاني على العرق" أدى إلى أن تحمل المدينة الداخلية دلالة على السود . كما يشير وات ، مستمدًا من السياق البريطاني ، إلى أن هذه العملية "تعكس إضفاء طابع عنصري ، وفي بعض الحالات ، إضفاء طابع مرضي على المناطق الحضرية ، كما يتضح على سبيل المثال في التقارير الصحفية عن "أعمال الشغب" الحضرية في الثمانينيات" (1998: 688؛ للمناقشة ينظر بورجيس، 1985).

ويزعم ستانتون أن إضفاء الطابع المكاني على العرق أكثر تطرفًا داخل الولايات المتحدة : "من الناحية المفاهيمية ، تُركت المدينة للفقراء والمهمشين عرقيًا ... وبالنسبة لوسائل الإعلام ، مقياس الوعي الوطني ، أصبحت المدينة الأمريكية الآن المدينة السوداء" (2000: 129). ويربط ستانتون بين قتامة صورة المدينة وتخفيض قيمتها ، وخفض رتبتها إلى مشهد "يائس" وغير عقلاني . ولتوضيح هذه العملية ، يقدم ستانتون الحكاية الاتية : وصف سكان البيض شارع كانال ، وهو الشارع الرئيسي المزدحم في وسط مدينة نيو أورليانز، بأنه "ميت" عندما وصلت إلى المدينة . ولم يكن الوجود التجاري النشط لـ"العالم الثالث" والأميركيين من أصل أفريقي هناك مسجلاً كونه عالماً من الأحياء .(2000 :129)

ونظراً لأن "الإحياء" الجزئي للعديد من المراكز الحضرية في الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة كان يسير جنباً إلى جنب مع "عودة" البيض إلى المدينة (ينظر روبينوفيتز وروزنباوم، 2000؛ ولكن ينظر فري ولياو، 1997)، فإن تقييم ستانتون يبدو قديماً بعض الشيء . وعلاوة على ذلك ، يجب أن نتذكر أن مثل هذه الروايات بعيدة كل البعد عن العالمية ولا ينبغي أبداً منحها وضعاً نموذجياً : فمحاولة خفض رتبة المدينة إلى "غابة حضرية" لا تحظى بأي قدر من الرواج خارج بعض البلدان في الغرب (وخاصة الولايات المتحدة). وعلاوة على ذلك ، حتى في تلك البلدان حيث أصبحت "الغابة الحضرية" خطابًا شاملاً ، ظلت هيمنة البيض حقيقة حاضرة دائمًا في حياة المدينة .

بالاعتماد على دراساته للارتباطات بين "الفضاء العنصري" المحلي والوطني داخل السويد ، يؤكد بريد أن العِرق مُجسَّد ، ومُصمَّم ليبدو حقيقيًا ، من خلال تثبيته في الفضاء : يصبح البناء الاجتماعي للعرق واحدًا مع الاحتلال المادي للمكان . يصبح العنصريون منفصلين ، ويصبح المعنى العنصري منقوشًا على الفضاء . يُعلن عن الآخرين خطابيًا خارج الحدود ، المُعَزَّلين جسديًا والمُعَزَّلين في المكان . يُصبح المستبعدون بشكل قاطع محصورين جسديًا . يصبح المهمشون اجتماعيًا بعيدين عن المنال ، ولا يمكن معرفتهم اجتماعيًا بسهولة . يُصبح المحظورون اجتماعيًا منعزلين مكانيًا عن الشبكات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي توفر الفرصة . يصبح المُتباعدون ثقافيًا منبوذين وُمِسوا مكانيًا ... إنجاز آخر للسحر الوجودي . إن المسلمات العنيدة والمنطق الفكري للعنصرية الثقافية قد أصبحت ملموسة - مثل الخدع السحرية والخداع البصري والخداع البصري. (2000: 98-99)

لقد ابتعد العمل الأكثر إثارة للاهتمام في مجال جغرافي الثقافة الحضرية عن محاولات التعميم بشأن آثار استيطان الأقليات ، ونحو تفكيك الاستراتيجيات التمثيلية المتضاربة غالبًا والتي تحيط بأماكن وأحداث عرقية معينة . كما قدم جاكسون عملاً جغرافيًا مهمًا حول نوع الديناميكيات التي يشير إليها بريد في دراساته حول كرنفال نوتنج هيل (1988) و"العرق" والجريمة في تورنتو (1993؛ ينظر أيضًا جاكسون، 1987؛ جاكسون وبينروز، 1993). تشمل الأمثلة المهمة الأخرى دراسات جاكوب (1988؛ 1993؛ 1996) حول الصراع العرقي حول استخدام المظاهر الطبيعية والرمزية في أستراليا ؛ وأبحاث سميث (1989أ؛ 1989ب) حول عنصرية المساحات السكنية ؛ إن ما كتبه سيبيلي (1988؛ 1992؛ 1995) عن جغرافية "الغرباء"؛ وتحليل روبنسون (1996؛ 1998) للديناميكيات المتغيرة للعرق والفضاء في جنوب أفريقيا ؛ وعمل أندرسون (1993أ) عن "الفضاء الأصلي" في ريدفيرن؛ وكتابات كيث (1993) عن البناء المكاني لـ "العرق" و"أعمال الشغب" في لندن في ثمانينيات القرن العشرين .

وكما يؤكد أندرسون ، فإن **عملية العنصرية المكانية يجب أن تُفهم على أنها عملية عرضية تاريخيًا** . وقد أشار كيث أيضًا إلى هذه النقطة في دراساته عن الجغرافيات "العرقية" العدائية للشرطة و"المجتمع الأسود" في لندن . قدم كيث اقتراحًا قيمًا مفاده **أن دراسة توليد المعاني المكانية يجب أن تكون مصحوبة**

**بتحليل "إغلاقها" أو اكتمالها العرضي** . ومع ذلك ، يشير كيث إلى أن إغلاق هذه الارتباطات المجازية والتركيبية مؤقت وعرضي وتعسفي . قد تعكس المعاني التي توصلت إليها مجموعات مختلفة التكوين اللاواعي والحس السليم للتحيز أو الأشكال الاستراتيجية الواعية للجوهر "العرقي المكاني" (على سبيل المثال ، الحي اليهودي كمحور للفخر الأسود). ومع ذلك ، في كلتا الحالتين ، فهي قابلة للتغيير جغرافيًا وتاريخيًا ، وعرضة للتغيير والتحدي والإصلاح . إن الاقتراح القائل بأن "**الأماكن هي لحظات إغلاق تعسفي**" (كيث، 1991أ: 187) يدعمه كيث في كتابه "العرق والشغب والشرطة : المعرفة والفوضى في مجتمع متعدد الأعراق" (1993؛ ينظر أيضًا كيث، 1987؛ 1988أ؛ 1988ب؛ 1991ب؛ كيث وبايل، 1993؛ باك وكيث، 1999). يركز هذا العمل على الطريقة التي تم بها إضفاء طابع عنصري على تلك المناطق من لندن "المرتبطة" بالمجتمع البريطاني الأفريقي بطرق مختلفة من قبل البريطانيين الأفارقة والشرطة .

يولي كيث اهتمامًا خاصًا بالرمزية المتعددة لـ "الخطوط الأمامية" (أي تلك الشوارع ، مثل طريق رايلتون في بريكستون ، التي يُنظر إليها على أنها في الخط الأمامي في الصراع بين الشرطة والسود). تم تحليل هذه المواقع على أنها خاضعة للتفسير المجازي والتركيبي . سوف نوضح حجة كيث من خلال النظر في كل من أشكال المعنى هذه بدورها . يوضح أن الخطوط الأمامية ، مثل طريق رايلتون ، "يمكن عدها مرتبطة مجازيًا . "إنها ليست نسخًا دقيقة لبعضها البعض ، ولكن من حيث نظام العلامات المعني فهي قابلة للتبادل تقريبًا" (1993: 165). ثم يشرع كيث في شرح الفرق بين المعنى المجازي والترميزي للخطوط الأمامية . يقترح أن "السود" يفهمون عمل الشرطة في مناطق الخطوط الأمامية من وجهة نظر تاريخية ؛ إن عمل الشرطة يدل (مجازيًا) على تاريخ من العنصرية و وحشية الشرطة . من ناحية أخرى ، تمتلك الشرطة منظورًا تاريخيًا ضحلًا ؛ إن الخط الأمامي يدل (مجازيًا) على الأعباء التشغيلية اليومية . وبالتالي ، يتم بناء تصورات [السود] كشكل من أشكال "المعرفة المحلية" وهي مجازية بشكل أساسي في قراءة العالم الاجتماعي ؛ يُنظر إلى عمل الشرطة على أنه جزء من كل تاريخي ، يستحضر تاريخًا من 20 إلى 30 عامًا من الخبرة السوداء في "مكان" معين . بالنسبة للشرطة ، فإن الأهداف التشغيلية لها الأولوية و"المكان" كما تُقرأ العلامة بشكل تركيبي ؛ فالفعل هو جزء من تسلسل متوقع ، وهو ذخيرة متوقعة من السلوكيات التي تحدث بالكامل في الحاضر ... وهذا هو هيكل ممارسة الشرطة في مثل هذه المناطق الذي يضمن أن تعمل مؤسسة الشرطة كـ "آلة لقمع الوقت" - التاريخ ضائع .(1993 :166)

إن العمليات الرمزية العاملة في إطار إضفاء الطابع العنصري على المكان والمساحة تلائم مفردات علم العلامات . ومع ذلك ، فإن التقليد الأخير مفتوح لمجموعة متنوعة من التفسيرات النظرية . وعلى وجه الخصوص ، فإنه يعتمد على ويتداخل مع فئات القمع والتشريد التي جعلها فرويد وأتباعه مألوفة . وقد أشارت ورقة بحثية حديثة لهايدي ناست (2000) إلى إمكانات هذا النهج الأخير. قدمت ناست تحليلاً نفسياً لأنماط الاحتواء المكاني الأسود ، و"الهروب" الأبيض والتجديد الحضري الواضح في شيكاغو . على سبيل المثال، تشرح "القمع الاجتماعي المكاني للأجساد السوداء والأماكن والحياة" (2000: 232) بالإشارة إلى دور "التصورات الرمزية الخيالية العنصرية للرجال السود كمغتصبين" (2000: 231) داخل النفس البيضاء . وبشكل عام ، فإن اهتمامها منصب على الطريقة التي "بنيت بها المظاهر الطبيعية الخارجية والنفسيات الداخلية بعضها البعض تاريخيًا" (2000: 219).

أحد أكثر الجوانب إنتاجية في ورقة ناست هو أنها تضع نفسها ضمن تقليد الدراسات المستنيرة بالتحليل النفسي للعنصرية المكانية . وعلى وجه الخصوص ، تناقش وتستند إلى محاولات وايت (1972) لتقديم ترجمة جغرافية تاريخية ونقد لرواية فرويد غير التاريخية وغير الجغرافية لتكوين النفس . ويتمثل جوهر تحليل وايت

في الادعاء بأن النفس كانت نتاجًا للبناء الاستعماري والداخلية لشخصية "الرجل البري" . وفي مقطع استشهدت به ناست (2000: 223)، تلاحظ وايت أنه مع "إخضاع البرية للسيطرة ، أصبحت فكرة الرجل البري غير مكانية تدريجيًا . وقد صاحبت هذه اللامكانية عملية تعويضية من الداخلة النفسية". إن هذا الاستخدام الصريح للتحليل النفسي يوفر تحديًا مفيدًا للميل المعاصر إلى استخدام لغة القمع والتشريد دون إعطاء أي اعتبار جاد للنفسية أو ، على وجه التحديد ، اللاوعي ، كأرضية يتم فيها لعب معضلات العنصرية . ومع ذلك ، فإذا كان هذا التركيز ينتج استنتاجات مختلفة بشأن العواقب المادية وتنفيذ العنصرية الاجتماعية المكانية هو أمر أقل وضوحًا .

من المؤكد أن الكثير من الأعمال الحديثة حول ما يسميه أندرسون "العمليات السيميائية والمادية المتشابكة" (1993أ: 85) وراء عنصرية الفضاء الحضري تمكنت من تقديم صور للمظاهر الطبيعية المحفوفة برغبات وعمليات متناقضة دون اللجوء إلى صور للنفسية النموذجية . عمل أندرسون هو في حد ذاته مثال جيد . تركز دراسات أندرسون السابقة (1987؛ 1988؛ 1991) على بناء الحي الصيني . وبشكل أكثر تحديدًا ، تقدم دراسة تاريخية للدوائر الانتخابية الحضرية المختلفة والديناميكية التي ساعدت في تشكيل الحدود "العرقية" والمعاني المرتبطة بالحي الصيني في فانكوفر . وتوضح أن "مساحة المعرفة المسماة الحي الصيني " "نشأت من نظام سياسي انقسامي للخطاب العنصري الذي برر الهيمنة على الأشخاص من أصل صيني ، وأصبحت تشكل هيكلًا له" (1988: 146).

وفي بعض دراساتها الأحدث ، ركزت أندرسون (1993أ؛ 1993ب) على تطور المعاني "العرقية" في "ضاحية ريدفيرن الأصلية" في سيدني . وتعلق أندرسون قائلة: "لقد تم بناء ريدفيرن الأصلية من خلال خطابات وممارسات متعددة ومتناقضة ، حيث يمهد تفكيكها الطريق لنظرية غير جوهرية ليس فقط للهوية الأصلية ولكن أيضًا لمكان ريدفيرن" (1993أ: 87). تعزل أندرسون خطابين متنافسين اللذين أضفيا طابعاً عنصرياً على ريدفيرن . الأول ينبثق من حجج "حقوق السكان الأصليين" التي تضع الضاحية في قلب "المجتمع الأصلي"، وهو موقع مادي يدمج رمزياً تعدد الأصوات الأصلية في "نضال شامل للسكان الأصليين ضد أستراليا البيضاء" (1993أ: 86). ركزت أندرسون انتباهها على كيف دخل هذا "الاختراع الثقافي والسياسي" في صراع مع المفاهيم العنصرية البيضاء لريدفيرن والسكان الأصليين خلال أوائل سبعينيات القرن العشرين . وبمساعدة مواد الأرشيف والمقابلات ، توضح كيف "استند [الساسة والمسؤولون ...إلى مجموعة (مهينة) من الصور الراسخة للسكان الأصليين ، ليس بدافع "تحيز" بسيط ، ولكن من أجل كسب دعم السكان البيض المحليين" (1993أ: 86-7).

وتتابع أندرسون أن هذه العملية ساعدت في "بناء ريدفيرن ذات طابع عنصري سلبي لم تتآكل بمرور الوقت" . وبالتالي أصبحت ريدفيرن فئة مركزية ومتنازع عليها في صراع اجتماعي مكاني بين الناشطين والمتعاطفين من البيض والسود . ونعتقد أنه مهما كانت درجة تعقيد تطبيقه ، فإن التركيز على الأماكن والشعوب ذات الطابع العنصري الصريح يخاطر بشكل غير مقصود بتطبيع الهيمنة المكانية للأغلبية غير العنصرية . وقد تحدى بعض النقاد هذه الهيمنة من اتجاه مختلف . على سبيل المثال ، يتخذ البحث الإثنوغرافي الأخير الذي أجراه شو (2000؛ 2001) في منطقة ريدفيرن في سيدني البياض كمحور رئيسي له : بعيدًا عن الحدود العنصرية الصارخة بين السود والبيض بالقرب من ذا بلوك [أي المنطقة التي حددها السكان الأصليون في ريدفيرن]، حيث يمتص فضاء البياض الأعراق الأخرى ، يبدو أن البياض يتلاشى في الحياد العرقي . بعيدًا عن "الآخر" الأصلي ، فإن البياض ليس واضحًا جدًا . لقد دفعتني ملاحظاتي للمساحات القريبة من The Blockإلى التفكير في كيفية تعزيز البياض وترسيخه ضد وجود(8 :2001) .The Block

إن التطور الموازي في تلك البلدان حيث يُشار إلى الريف على أنه أبيض ، مثل بريطانيا ، هو الاهتمام الجديد الممنوح للبيئات غير الحضرية . يسلط هذا التركيز الضوء على العلاقة المتبادلة التعزيز بين الحضري العنصري والريفي غير العنصري . يؤكد أوري أن ""عنصرية"" الظواهر الحضرية تعمل جزئيًا في إنجلترا من خلال التقييم العالي المتناقض الذي يُوضع على الريف الإنجليزي الذي يُعد أبيضًا في الغالب"" (1995: 27). من المهم أن نلاحظ أن هذه العلاقة لا تعتمد بالضرورة على وجود أو غياب الأشخاص غير البيض . في الواقع ، يمكن اكتشاف ذلك من خلال رؤى الأجواء المنحطة وغير الطبيعية للمدن من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . وكما سنرى الآن ، فإن التفاعل الصريح بين خطابات الطبقة والعرق داخل المنطق المكاني العنصري لهذه الفترة يجعل منها مثالاً كاشفًا بشكل خاص .

ونتيجة للهجرة واسعة النطاق للأسر الريفية إلى المدينة التي ميزت أواخر القرن التاسع عشر ، كان يُنظر إلى الطبقة العاملة البريطانية (وخاصة الإنجليزية) غالبًا على أنها تفقد جذورها الوطنية والعرقية . فقد ضاع أهل الريف "التقليديون" بسبب الانحطاط العرقي . وفي كتابه "إنجلترا الريفية" (1902) لاحظ رايدر هاجارد أن هذا التدفق المهاجر "لا يمكن أن يعني أقل من التدهور التدريجي للعرق" (1976: 218). وفي كتابه "الفقراء والأرض" ، قارن المؤلف نفسه بين "الأقزام الصغار الذين نشأوا في المدن أو الآباء الذين نشأوا في المدن" و"دماء وأوتار العرق" ، أي الرجل الريفي "القوي والذكي "(هاجارد، 1905): واعتمد التباين العنصري بين المناطق الحضرية والريفية ، جزئيًا ، على ارتباط المناطق الحضرية بالعمالة المهاجرة . ومع ذلك ، فإن التهديد المتصور للمناطق الحضرية استند أيضًا إلى خطاب موجود ومحدد إنجليزي للرومانسية الوطنية والعرقية التي وضعت جوهر الإنجليزية في "الشعب ... أرض التكاثر والنمو الطبيعية" (اللورد والسينغهام، نقلاً عن لو، 1996: 19)، الريف.

والواقع أن أوجه التشابه بين الصور النمطية لـ "الخدود الوردية" و"البشرة الصحية" للفلاح الإنجليزي والطبيعة "الحيوية" للبياض البرجوازي تشير إلى استثمار كتاب الطبقة المتوسطة الفيكتوريين في الحنين إلى الريف كنوع من أسطورة الأصل لصعودهم . ويتعزز هذا الانطباع بحقيقة أن العمال الريفيين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لم يكونوا عرضة للمستكشفين المذعورين بل كانوا عرضة للاسترجاع الثقافي الموقر . بحلول عام 1911، كانت دراسات الفولكلور قد نُشرت في 29 مقاطعة من مقاطعات إنجلترا الأربعين .

إن ملاحظات كولز (1986؛ ينظر أيضًا هاوكينز، 1986) حول تطور "الدراسة الشعبية" في تلك الفترة ترسم تباينًا مباشرًا بين نقاء الماضي الريفي القيم والحاضر الحضري المتدهور عنصريًا . يساعد هذا السياق التاريخي في تقويض المغالطة التي حددها وات : "أحد جوانب أهمية خطاب المناطق الداخلية من المدينة حول العرق هو أنه يميل إلى تعزيز فكرة أن العنصرية تحدث مكانيًا فقط حيث يعيش السود" (1998: 688). تسلط دراسة وات الإثنوغرافية للجغرافيات اليومية للشباب البيض والآسيويين والسود الذين يعيشون في منطقة "حزام الركاب" في جنوب شرق إنجلترا الضوء على الحركة المكانية المقيدة بشدة الممكنة للأشخاص ذوي العرق داخل مثل هذا السياق "غير العنصري" "الأبيض بالكامل" . و وجد أن : كان الشباب من الطبقة المتوسطة البيضاء ، الذين يعيشون في قرى راقية ، هم الأقل محلية في التوجه وكان لديهم القليل جدًا من الشعور بالانتماء فيما يتعلق بالمكان الذي يعيشون فيه ... **كان الآسيويون الأكثر محلية في التوجه** بين جميع الشباب الذين تحدثنا إليهم . شعر العديد من الشباب الآسيويين ، على وجه الخصوص ، بإحساس قوي بالولاء [لمنطقة واحدة] بناءً على دفاع الشارع الذي يهيمن عليه الذكور : "إنه دائمًا مليء بالآسيويين هنا ، يبدو الأمر وكأن لا أحد يمزح معك ، نحن فقط نقضي الوقت مع بعضنا البعض ." (692 :1998)

إن المفارقة التي نشأت ، جزئياً على الأقل ، عن حركة الطبقة المتوسطة ، والتي تظهر من ملخص وات هي أنه في حين يتطلب الإقصاء العنصري مستوى معيناً من الارتباط بالسكان المحليين من الأقليات في "المساحة البيضاء"، فإن العديد من السكان البيض الشباب يتمتعون بـ "امتياز" كونهم (أو على الأقل يزعمون أنهم) غير مرتبطين بالأماكن التي يعيشون فيها . وقد يتبين أن "إنجلترا الأصيلة" مأهولة بأشخاص ، بعيدًا عن الارتباط الإيديولوجي بالمجتمعات الريفية المحلية ، هم أقرب إلى البدو الرحل من الطبقة المتوسطة الذين لا جذور لهم (ينظر مردوخ ومارسدن، 1994).

## نظريات جديدة للهوية الثقافية: ما وراء "العرق"

مع كفاح الجغرافيين للتوصل إلى تفاهم مع الإرث الإمبراطوري لهذا التخصص وإنتاج جغرافيات بديلة ونقدية للتمييز العنصري ، فقد استلهموا أفكارهم من التطورات الجديدة في مجالات الدراسات الثقافية ، والأدب ما بعد الاستعماري ، وعلم الاجتماع الأوسع للدراسات العرقية والإثنية . وقد أعلن بيتر جاكسون ، الذي يشكل كتابه "خرائط المعنى" (1995) جزءًا رئيسيًا من هذا التمرين لبناء الجسور بين التخصصات ، عن نيته في إعادة تنشيط ركود جغرافية الثقافة . وقد اعتقد أن هذا يمكن تحقيقه من خلال الجمع بين "بعض أهم الأفكار من الدراسات الثقافية مع بعض التطورات الأخيرة في الجغرافيا البشرية ، والسعي إلى إيجاد مناهج بديلة لدراسة جغرافية الثقافة بعيدًا عن الهوس التقليدي بالمظاهر الطبيعية "(1995 :3)

ولتوضيح السياسات المتغيرة للهوية الثقافية ، أشار ستيوارت هول ، في إشارة إلى كتاب بول جيلروي "لا يوجد أسود في العلم البريطاني" (1987)، إلى أنه حتى وقت قريب "لم يكن يهتم بوجود أي أسود في العلم البريطاني . والآن لم نعد نهتم فحسب ، بل يجب أن نهتم" (1993: 258). إن حقيقة أن السود لم يعد من الممكن النظر إليهم كونهم "أجانب" ، ومختلفين ، و"غير بريطانيين" في الأساس ، تشير إلى "تأكيد عرقي" جديد واضح في الأجيال الأخيرة من الشباب من الأقليات . ومع ذلك ، من خلال رفض مفهوم العرق كونه أي شيء آخر غير قطعة أثرية اجتماعية ، فقد أثار العلماء المناهضون للجوهرية أيضًا تساؤلات حول الأساس الحقيقي للهوية السوداء . فإذا كان العرق ليس أكثر من مفهوم اجتماعي تم رسمه خطابيًا على أجساد السود من خلال عملية عنصرية ، فإلى أي مدى من المفيد أن ننظم سياسيًا حول هذه الهوية الجماعية في المقام الأول ؟

لقد بدأ الكتاب والناشطون المناهضون للعنصرية بشكل متزايد في التشكيك في قيمة التحالفات القائمة على اللون . ربما كانت مفيدة استراتيجيًا ، ولكن المدى الذي يمكن أن تعبر به الثنائية العنصرية بشكل كافٍ عن التعقيد التاريخي والجغرافي للهوية الثقافية يبدو محدودًا . تشير هذه القضايا إلى الابتعاد عن العلاقات الثنائية الغربية للعنصرية (والتي هي حاليًا أسود / أبيض ، على الرغم من أنها كانت تاريخيًا تميل إلى التركيز على محور جغرافي شرق / غرب ، شرق / غرب - أو انتماء ديني ، مثل مسيحي / مسلم ، متحضر / وثني) . تشير السياسة الجديدة للهوية الثقافية الآن إلى أشكال مركبة من التمييز وتؤدي إلى النظر في التدرجات الداخلية ضمن "السود" أو "البياض" . لقد اقترح هول أن انهيار "الأسود" قد يؤدي بدوره إلى إنتاج "عرقيات جديدة :" إن ما هو على المحك هنا هو الاعتراف بالتنوع الاستثنائي لمواقف الموضوع والتجارب الاجتماعية والهويات الثقافية التي تشكل فئة "الأسود" ؛ أي الاعتراف بأن "الأسود" هو في الأساس فئة مبنية سياسياً وثقافياً ، والتي لا يمكن أن تؤسس على مجموعة من الفئات العرقية الثابتة عبر الثقافات أو المتعالية وبالتالي ليس لها ضمانات في الطبيعة . وما يجلبه هذا إلى اللعب هو الاعتراف بالتنوع الهائل في التمايز بين التجارب التاريخية والثقافية للموضوعات السوداء . وهذا يستلزم حتماً إضعاف أو تلاشي مفهوم ... "العرق ."(1993 :

254) وفقًا لهول ، فإن هذه السياسة الجديدة للاختلاف قد تؤدي إلى "نهاية الفكرة البريئة للموضوع الأسود الأساسي" (1993: 254) وتولد تقديرًا أكبر للتعددية (ينظر ميرسر، 1994)

إن الطريقة التي تم بها انهيار الهويات المتعددة ودمجها بشكل أخرق هي قضية لم تفت انتباه العاملين في مجال السياسة العامة . وهكذا وجد كارينجتون وآخرون ، في أبحاثهم حول تجنيد والاحتفاظ بالمعلمين الجدد من الأقليات العرقية في إنجلترا وويلز، أن الفئات العرقية المتاحة "يُنظر إليها على أنها غامضة ، وغير متزامنة مع العصر ومتناقضة مع التعريفات الذاتية الشائعة" (2001: 44) للمستجوبين . كما أكد طارق مودود على المشاكل المرتبطة بأشكال التصنيف العرقي المستوردة . ويركز نقده للهوية السوداء على الطريقة التي تم بها التمييز على أساس العرق والهوية العرقية والهوية ...

لقد عمل مصطلح "أسود" على استبعاد مجموعات الأقليات العرقية المختلفة من المناقشة السياسية في المملكة المتحدة ، كما يكشف مثاله على الرعايا من جنوب آسيا بوضوح (ينظر مودود، 1988؛ 1994). يوضح هذا العمل كيف أن مجموعات الأقليات العرقية المحددة قد لا تتماهى بالضرورة مع الخطابات السائدة إما العنصرية أو مناهضة العنصرية ، بل تفضل بدلاً من ذلك التعبئة حول أشكال الهوية الدينية أو الثقافية . وعلاوة على ذلك ، كان لانهيار الثنائية العنصرية السوداء/البيضاء أيضًا تأثير وضع فئة البياض تحت الفحص والتفتيش . لقد بالغ الجغرافي الاجتماعي بيتش قليلاً عندما أعلن مؤخرًا ، "إذا كانت محاولة فرض هوية "سوداء" واحدة على عرقيات متنوعة خطأً سيئًا في الماضي ، في تسعينيات القرن العشرين ، فإن توحيد "البياض" يُعد الآن أسوأ "(2000 :621).

يمكن أيضًا أن يزعم أن الكتابات ما بعد الاستعمارية حول التوفيق الثقافي والتهجين قد وفرت "**مساحة ثالثة** (Bhabha 1990) "، تتجاوز الثنائية العنصرية السوداء / البيضاء . بالنسبة لهومي بابا ، تشجع التهجين الثقافي على الانتشار الجذري الذي "يؤدي إلى ظهور شيء مختلف ، شيء جديد وغير قابل للتعرف عليه ، منطقة جديدة للتفاوض والتمثيل" (1990: 211). تنشأ هذه "المساحة الثالثة" الجديدة من اللقاء الاستعماري والعمليات التاريخية الأكثر حداثة للعولمة والهجرة والاستيطان . لاحظ كيفن روبنز: "**العولمة ، لأنها تذيب حواجز المسافة ، تجعل لقاء المركز الاستعماري والمحيط المستعمر فوريًا ومكثفًا** "(1991 : 25).

إن العرقيات الهجينة الجديدة المفترضة التي تزدهر في العديد من المناطق الحضرية (باك، 1996) هي نتيجة لهذه الديناميكية ما بعد الاستعمارية والعولمية . إن الفضاء الثالث ، أو ما أسمته ماري لويز برات "**منطقة الاتصال**" ، قد يُصاغ على هذا النحو كونه فضاءً حيث يمكن أن يجتمع "التواجد المكاني والزماني المشترك للموضوعات التي كانت منفصلة سابقًا عن طريق منعطفات جغرافية وتاريخية ، والتي تتقاطع مساراتها الآن" (1992: 7) معًا . وبذلك يؤدي ذلك إلى ظهور هويات ثقافية جديدة لم تكن متخيلة حتى الآن والتي تعد ترجمات هجينة لأسلافها السابقين .

ومع ذلك ، اقترح المنتقدون أن التركيز على الهوية الثقافية التي تميز هذه التقييمات للهجين المعاصر كان على حساب المخاوف السياسية والاجتماعية . وبالنسبة لأولئك الذين لم يقتنعوا بخطاب احتمالات ما بعد الحداثة ، تظل العنصرية موقعًا أكثر بروزًا للقلق من العرقيات الجديدة (كوهين، 1999). إن هذا النهج الحذر في التعامل مع المطالبات المرتبطة ببابا وغيره من علماء ما بعد الاستعمار والعرقيات الجديدة يشير إلى عدم الرغبة في السماح لخطابات التهجين الثقافي باحتواء وتهميش الطريقة التي يتم بها إعادة إنتاج التمييز العنصري والانقسام . لم تؤد العولمة وما بعد الحداثة إلى انهيار التماهي مع الأمم أو المناطق أو المحليات . وعلاوة على ذلك ، فإن الطبيعة "الفورية والمكثفة" للمزيج العرقي الحضري قديمة قدم المدن نفسها : **فالفضاء**

**الثالث هو تقليد وليس حداثة** . وهذا بدوره يشير إلى أنه على الرغم من أن الثنائيات الراسخة للخطاب العنصري الغربي ربما أصبحت موضع شك ، إلا أنه لا ينبغي الخلط بين انهيار التمييزات القديمة وفجر عصر ما بعد العنصرية الجديد .

ويظل الاهتمام الأخير بنهج العرقيات الجديدة يتمثل في ميل الباحثين الجغرافيين إلى التركيز على المناطق الحضرية في البلدان المتقدمة . وقد دفع هذا بعض الجغرافيين إلى الكتابة عن "الوضع المهيمن لخطاب المناطق الداخلية من المدينة فيما يتصل بالعرق والفضاء" (وات، 1998: 688)، وآخرين إلى التأكيد على أن "هذه الجغرافيات تُعرض كونها مظاهرات تجريبية ملونة للثقافة الكوسموبوليتانية التي تمثل اللحظة الغربية المعاصرة" (ماكغينيس، 2000: 225-226). وعلى الرغم من هذه الانتقادات ، فقد قدمت الأبحاث حول الهويات الثقافية والأعراق الجديدة بعض الأفكار المفيدة حول الذاتية والعرق . ومع ذلك ، لمواجهة بعض القيود الجغرافية لهذا العمل ، سنوجه انتباهنا الآن إلى الدراسات العالمية الحديثة حول البياض والأماكن البيضاء التي أجراها الجغرافيون الاجتماعيون والثقافيون المعاصرون .

## التاريخ والجغرافيا والبياض

لقد نشأت المجموعة الأكثر تأثيرًا من الكتاب في مجال ما قد نطلق عليه مؤقتًا "الدراسات البيضاء" من تقليد ماركسي للمنح الدراسية التاريخية في الولايات المتحدة . وقد طبق مؤرخو العمل الجدد هؤلاء معرفتهم بتاريخ حركات العمل لفهم كيف أصبح البياض ، على حد تعبير ثيودور ألين ، "التيار النفاث السائد الذي حكم تدفق التاريخ الأمريكي "(1994 :22) . كما أوضح ديفيد روديجر في كتاب أجور البياض (1992) و نحو إلغاء البياض (1994)، فإن الطبقة الاجتماعية والامتياز العرقي هما مكونان متبادلان في صنع تاريخ الطبقة العاملة الأمريكية . بالنسبة لروديجر، فإن البياض قد حقق دوره كشكل من أشكال رأس المال الثقافي الذي عمل على فصل المهاجرين المستقرين عن المهاجرين "الجدد" ، والشعوب الأيرلندية ، والجنوبيين ، والعبيد ، وأولئك الذين لم يتم استيعابهم بالكامل بعد في البانتيون المقدس للمواطنة الأمريكية "البيضاء" . بالنسبة لروديجر، كانت الولايات المتحدة تراقب وتتكشف "الدراما الحزينة للمهاجرين الذين يعتنقون البياض بينما يواجهون خطر الوقوع ضحية كونهم غير بيض" (1992: 180).

لقد بدأ علماء الجغرافيا الآن أيضًا في التحقيق النقدي في البياض ، وإن كان ذلك بشكل أساسي من موقف تمثيلي أو نسوي أو تفكيكي . ومع ذلك ، يظل من المفارقات التاريخية أن مثل هذه التحقيقات المعاصرة غالبًا ما تفشل في إدراك أن البياض ليس موضوعًا جديدًا للبحث ، على الأقل في الجغرافيا (على سبيل المثال، Trewartha، 1926؛ Woodruff، 1905. ) لقد سعت الجغرافيات الإمبراطورية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين باستمرار إلى رسم خريطة وإضفاء الشرعية على تفوق العرق الأبيض . من الواضح أنه سيكون من الخطأ أن نتخيل أن هيمنة العرق الأبيض قد تقوضت بالضرورة بمجرد الحديث علنًا عن ، أو "فضح"، البياض .

لقد كان البياض واضحًا (ومفتخرًا) لفترة طويلة في الجغرافيا . وقد أشار تريوارثا إلى عدم ملاءمة الأوروبيين البيض للعمل الشاق في "المناطق الاستوائية الرطبة" ، وخلص إلى أن "الرجل البني متفوق على الرجل الأبيض في اقتصاده في التعرق" (1926: 472). وبحلول عام 1931، شعر دان كينيدي بأنه قادر على التعليق على "مخاطر شمس الظهيرة" في المناطق الداخلية الاستعمارية ، الأمر الذي جعله يتساءل لماذا "دفعت القوانين الطبيعية العرق الأبيض إلى السيطرة ، ولكنها منعته من استيطان المناطق الاستوائية" (1990: 123). ومع ذلك ، في حين كان يُنظر إلى البياض ذات يوم كونه هوية طبيعية ومستقرة ، فإنه يُنظر إليه الآن

بشكل متزايد كونه شيئًا له تاريخ وجغرافية ، وتشكيل اجتماعي غير دائم يمكن تغييره وتحديه (بونيت، 1993؛ 1997؛ 2000أ؛ 2000ب).

تظل نقطة البداية المهمة هي التحليل النوعي الذي أجرته روث فرانكنبرج لثلاثين امرأة بيضاء من كاليفورنيا في الولايات المتحدة ، بعنوان "النساء البيض ، المسائل العرقية : البناء الاجتماعي للبياض" (1994). الفصل المعنون "النشأة البيضاء : الجغرافيا الاجتماعية لـ"العرق"" هي محاولة لإظهار كيف يتم تنفيذ البياض في المدن الأمريكية الصغيرة على نطاق الحي السكني . وبالتالي ، تدرس فرانكنبرج "التأثيرات المتشابكة للأصل الجغرافي ، والجيل ، والعرق ، والتوجه السياسي ، والجنس ، والموقع الجغرافي الحالي" (1994: 18) على حياة المستجيبين البيض . وفي مكان آخر، صورت فرانكنبرج عملها على أنه "جغرافية اجتماعية عرقية" تتضمن "رسم خريطة عرقية وإثنية لمشهد ما من الناحية المادية ، وتمكن أيضًا من الشعور الأولي بالرسم المفاهيمي للذات والآخر فيما يتعلق بالعرق الذي يعمل في حياة النساء البيض" (1993: 54).

إن التشابك بين الجغرافيا والبياض واضح أيضًا في المقدمة - بعنوان "البياض المحلي ، توطين البياض" - للمجلد المحرر لفرانكنبرج "إزاحة البياض : مقالات في النقد الاجتماعي والثقافي" (1997). ناقش شيك وهاجيس (1998) أشكال البياض لما بعد الاستعمار في وقت ومكان حيث تفسح التيارات المتداولة للعولمة المجال في وقت واحد للدفاع الأحادي الثقافة ، والذي تجسد في حزب الأمة الواحدة الذي أسسته بولين هانسون في أستراليا . باستخدام انتصار هانسون الساحق في ضاحية الطبقة العاملة في بريسبان من أجل تقييم شعبية حزب الأمة الواحدة وجاذبيته للبياض ، تستكشف دراستهم كيف تم تحدي الهوية الأسترالية من الخارج من قبل اقتصاديات "القوة" في حافة آسيا والمحيط الهادئ ، وأيضًا من الداخل من خلال مطالبات الشعوب الأصلية بحقوق الأراضي . لقد نجح حزب الأمة الواحدة في التعبير عن شعور بعدم الارتياح لدى البيض من خلال الادعاء بأن البيض هم الآن الضحايا المهمشين في المجتمع . وفي هذا السياق يستنتج المؤلفون أن "اللون الأبيض ربما يكون شرطًا ضروريًا لما بعد الاستعمار" (1998: 627).

وهناك دراسة أخرى تجمع بين الاستكشاف الوطني والمحلي للبياض ، وهي دراسة كوباياشي وبيك (2000) للتقارير الصحفية عن عمليات إطلاق النار التي وقعت في مدرسة كولومبين الثانوية في ليتلتون، كولورادو، الولايات المتحدة الأمريكية . حيث تم تصوير ليتلتون على أنها حي "آمن" ، بعيدًا تمامًا (على الأقل في خيال البيض) عن "الحي" والحي اليهودي في وسط المدينة الذي يتميز بالعنصرية . ووفقًا للمؤلفين ، فإن التمثيلات العنصرية لهذه المناطق تُظهر أن "المكان مهم لأن العمليات الاجتماعية مثل البياض محدودة ، ولأن المشاعر المعقدة للعنصرية ومناهضة العنصرية تثير بشكل كبير مظاهر طبيعية معينة" (2000: 396).

ويستمر كوباياشي وبيك في التعليق على الحاجة إلى أن يشرع الجغرافيون في التعامل النقدي مع البياض . ويشيرون إلى أن "حياة الجغرافيين البيض المهيمنون ، هي مواقع لإعادة إنتاج العنصرية ، ولكنها تحمل أيضًا إمكانية أن تكون مواقع استراتيجية للمقاومة" (2000: 399) . والواقع أن الجغرافية النسوية جيليان روز، في إفصاح نادر عن الذاتية البيضاء ، فكرت في الكيفية التي مكن بها البياض عملها في هذا التخصص : "قد أشعر بالتهميش في الجغرافيا كامرأة" ، كما تقول ، "لكن بياضي مكنني من نقد الخطابات الجغرافية من خلال السماح لي بالاقتراب منها بما يكفي لإلقاء نظرة جيدة عليها "(1993 :15)

وقد دفعت دراسة بيتر جاكسون لأنماط التسوق إلى إعلانه أن "إنشاءات البياض يجب أن تُتتبع على مجموعة متنوعة من المقاييس من الأمة إلى الحي السكني" (1998: 100). ومن الأمثلة الجيدة على ذلك دراسة بول وات (1998) التي أجريت على 70 شابًا (15-21 عامًا) من أصول "بيضاء" وآسيوية وأفريقية

كاريبية في جنوب شرق إنجلترا (ينظر أيضًا دواير وجونز الثالث، 2000). ويكشف وات كيف أن البيض ليسوا وحدهم من يفلتون من النظرة الجغرافية ، بل إن "الأماكن البيضاء" أيضًا هي التي نجت من النظرة الجغرافية . ويطرح ماكغينيس (2000) هذا المنظور أيضًا في سعيه إلى إقناع الجغرافيين بأن "المناطق البيضاء" هي التي نجت من النظرة الجغرافية .

وقد استخدم بعض الباحثين طريقة الإثنوغرافيا لدراسة البياض وجغرافية العنف العنصري في الضواحي الإنجليزية مثل "كيمبتون دين" في منطقة ويست ميدلاندز (باك ونياك، 1999). ويوضح هذا العمل كيف تمكنت عصابة من حليقي الرؤوس من تحويل حيهم إلى "مساحة بيضاء" . وعلى المستوى الكلي ، تم تحقيق ذلك جزئيًا من خلال التحولات الاقتصادية في المنطقة ، و"الهروب الأبيض" من المدينة ، وسياسات الإسكان التي ينتهجها مجلس المدينة والتي تهدف إلى تشتيت الأقليات العرقية في جميع أنحاء التجمع الحضري . ومع ذلك ، تم تأمين تكوين منطقة كيمبتون دين كونها "بيضاء" على المستوى السياسي المحلي من خلال الترهيب والمضايقة وإدامة الكتابة على الجدران العنصرية .

إن التحليل الجغرافي للبياض في الضواحي هو أيضًا سمة من سمات بعض أعمال فرانسيس ويدانس توين الأخيرة . في إحدى الدراسات ، فحصت حياة 16 طالبة جامعية من أصل أمريكي من أصل أفريقي "ترعرعن كنساء بيض" في ضواحي أمريكا . بالنسبة لهؤلاء "الفتيات البيضاوات ذوات البشرة البنية" ، كما تصف توين المستجيبات ، يُنظر إلى امتيازات البياض في الضواحي على أنها تعمل كنوع من "منطقة الراحة" (1996: 215) والتي تمكن من إدماجهن العرقي في الممارسات السائدة على المستويات المادية والثقافية وحتى النفسية . "حاليًا ، ينشر بعض الجغرافيين الاجتماعيين المعاصرين تحليلًا للبياض لإعادة التفكير في كيفية تشكيل العرق والطبقة والجنس لفئات متبادلة ، يتم التعبير عنها من خلال وضد بعضها البعض بطرق معقدة ومتناقضة في بعض الأحيان" (هايليت، 2001؛ نياك، 2002).

هناك الكثير لنتعلمه من مثل هذه الدراسات الصغيرة النطاق ، والتي تستند إلى التجارب حول التعقيد النظري للعرقية في حياة الناس اليومية . ومع ذلك ، فمن المثير للقلق أن الجغرافيين قد جمعوا بين هذا التركيز وأفق جغرافي ضيق ، ونادراً ما رفعوا أنظارهم فوق التضاريس المألوفة لبريطانيا وأميركا الشمالية وأستراليا . تعمل الحدود الجغرافية الضيقة لـ "الدراسات البيضاء" على تعزيز الميل نحو الانعزالية التي ميزت الكثير من الأعمال الحديثة في مجال الدراسات العرقية والعنصرية في الغرب . قد يكون لفكرة أن هذا المجال من الاستقصاء يجب أن يكون له طموحات عالمية ، بالنسبة للبعض ، نغمة استعمارية غريبة . بعد كل شيء ، منذ الخمسينيات فصاعدًا ، سافرت الدراسات العرقية والعنصرية في الاتجاه المعاكس تمامًا ، ورفضت الأنثروبولوجيا الإمبريالية لتشريح العنصرية في الدول الغربية . في حين أننا نتفق مع الدوافع السياسية وراء هذا المشروع ، إلا أنه كان له تأثير جعل المناقشات حول العرق في الغرب محصورة للغاية ومختنقة . وعلاوة على ذلك ، فإن تماسك تجريد السرديات الوطنية الخاصة من الاقتصاد العالمي - دراسة "العنصرية الفرنسية" أو "مكافحة العنصرية البريطانية" - أصبح موضع شك بشكل متزايد . الهويات البيضاء ، إن لم يكن أي شيء آخر، هي ظواهر عالمية ، ذات تأثيرات عالمية .

والواقع أن طبيعة وتداعيات مظاهرها المحلية لا تظهر إلا عندما يتم فهمها على أنها عالمية . وقد دفع هذا النهج بونيت (2000 أ؛ 2000 ب) إلى تطوير تحليل تاريخي وجغرافي للبياض . ويتمثل أحد الاهتمامات الرئيسية لهذا العمل في إظهار أن تاريخ كيف أصبح البياض عنصريًا هو أيضًا تاريخ كيف بدأت المجموعات التي تم تحديدها سابقًا على أنها بيضاء (مثل الصينيين) في تسمية نفسها بشيء آخر وكيف بدأ الأوروبيون في الاعتقاد بأنهم البيض الحقيقيون الوحيدون في العالم . يتناول بونيت هذه القضية بالإشارة إلى

مواد تعود إلى حد كبير إلى الشرق الأوسط والصين واليابان ، وهي مجتمعات حيث كانت الهوية البيضاء بين مجموعات النخبة موجودة حتى وقت متأخر من القرن التاسع عشر .

كما تتبع بونيت (2000أ؛ 2000ب) ارتباطات أكثر حداثة بين الأوروبيين والبشرة البيضاء والعولمة الثقافية النيوليبرالية القائمة على الاستهلاك . وبالاستعانة بالثقافة الشعبية من أميركا اللاتينية واليابان ، تساءل عن الطريقة التي تم بها الإشارة إلى أنماط الحياة "الممتعة والحرة والمرنة" لليبرالية الجديدة كونها بيضاء وغربية . وقد ضمنت هذه العملية إعادة إنتاج وإصلاح دور الأبيض كرمز رئيسي للنجاح والحداثة والثروة . وعلى هذا ، وعلى الرغم من التخلي شبه العالمي عن العقائد الصريحة للتفوق الأبيض ، وتبني الخطاب المناهض للعنصرية كونه معجمًا للشرعية من قبل المؤسسات في جميع أنحاء العالم ، فإن البياض ما يزال يُعاد تجسيده كمعيار عنصري وثقافي . وتتنوع أنماط ومسارات المقاومة لهذه العملية ، ولكن إذا كانت هناك أية سمة من سمات القاعدة العنصرية البيضاء تبرز من القرن الماضي فهي قدرتها على التكيف والبقاء .

## الاستنتاجات

لقد زعمنا في هذا الفصل أنه من خلال فهم مثل هذه المصطلحات المعيارية مثل "الأبيض" و"الغربي" - تلك التي يتم بموجبها تعريف الآخرين على أنهم غريبون - يمكن إظهار أنظمة أوسع من الامتيازات العنصرية . من خلال توضيح أن الفئات مثل البياض هي أيضًا نتاج للعنصرية ، وأنها أيضًا لها تاريخ وجغرافية ، وبالتالي فهي قابلة للتغيير، يمكننا المساعدة في تحويل نقد العرق والعرقية من "حقل فرعي" إلى موضوع أساسي يمتد عبر التعليم الجغرافي الصارم . يوفر هذا التحول تحديًا للدور الاستعماري المألوف لـ "الدراسات العنصرية" (كمورد للمعلومات الأنثروبولوجية حول الموضوعات الاستعمارية) وكذلك لتجسيدها الأكثر معاصرة (كتحليل اجتماعي لمأزق الأقليات العنصرية في الغرب). وهذا يعني أيضًا أن التقليد المتمثل في التأكيد على عرقنة المحليات كونها المحور البحثي الرئيسي لـ "الجغرافيا العرقية" يحتاج إلى التوسع لتمكين التقدير الكامل لتقاطعات العرق والجغرافيا .

**لا يستطيع الجغرافيون تجنب قضايا الانقسام العنصري والإثني : فهي جزء لا يتجزأ من تاريخ هذا التخصص ومفرداته الأساسية** . ومع ذلك ، ربما بسبب هذا ، فإن الجغرافيين في وضع جيد لتقديم حكم أكثر عمقًا وتأنيًا من النقاد الاجتماعيين الذين يعدون أفكارًا مثل "أوروبية" و"غربية" و"أفريقية" وما إلى ذلك أقل وضوحًا كونها إبداعات عرضية وقابلة للتغيير.